

(١٠)

الخلوة المطلقة

- باب فيما ينبغي أن يكون عليه صاحب الخلوة - إن شاء الله - .
- باب الخلوة المطلقة .
- مطلب في بيان كيفية الخلوة وما يختص بها .
- باب ما جاء : أن الأنبياء دينهم واحد في هذا المقام وفي بعض الأحكام ، فقد حصلت في الدائرة والحمد لله .
- مطلب في بيان الأكل في الرياضة .
- صورة بيت الخلوة وحاله فيها وشروطها .
- خلوة الهدد .
- الخلوة الصمدانية .
- خلوة القرين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ألهم الصفوة من عباده اتخاذ الخلوات .
ونزله أسرارهم وخواطيرهم فيها عن الجولان في ملكوت الأرض
والسماوات .

ونصبها مثلاً لاحديته من أكثر الوجوه والجهات .
وجعل نعتهم فيها نعته في وحدانيته من عدم الحركة والالتفات .
وقدسهم فيها عن صفات القدم تقديسه في وحدانيته عن صفات
المحدثات .

فهم فيها طالبون وجودهم في عينه طلبه وجودهم في عينهم ، إذ
«كان ولا شيء»^(١) ، فقابل سوراً بسور ، وآيات بآيات ، ومنحهم فيها
أموراً يقرعون بها أبواب أهل التجليات المفيضات ، ويفتحون بها دروباً
للتنزلات المنزهة عن حمل الملقيات المرسلات . خلع عليهم فيها من
الخلع ما يقتضيه استعدادهم فيما يطابقها من الحضرات ، فإن الأرواح
المنشآت بالنفخ الإلهي ، بين الآباء العلويات ، والأمهات السفليات ،

(١) قال رسول الله (ص) : «كان الله ولا شيء معه» رواه مسلم .

خرجت على صورة استعداد الأمهات ، وبه وقع التفاضل بين هذه الذوات ، فلا تجدها تكرر على شخصين : لما ذكرناه من اختلاف هذه الهيئات .

فلا يزالون في خلواتهم من تخليص هذه القلوب من علل تجليات الألوهيات الخيالية ، وإمالة ما يأتي به من الكشوفات الوهميات .

وهذا التجلي الوهمي ، هو الذي أدى بعض المخذولين ، المعدول بهم عن طريق الحق : أن يقولوا بنفي الغير والسوى في توحيدهم ، ثم يجعلون له لساناً وكلمات^(١) ، فناقضت دعاويهم ، إذ كانوا : لا يدرون ، ولا يدرون أنهم لا يدرون ، وهذه أعظم الجهالات .

ومن هذا الموطن - بحكم هذا التجلي الخيالي - زل من زل اسفل الدرجات .

ومنه : علا من علا : إلى الدرجات .

وهذه الألوهية الخيالية هي التي رأى ابن صياد^(٢) عرشها على البحور الزاخرات ، مقابلاً للعرش الحقيقي : الكائن على الماء - كما ورد في الآيات - ، فأخبر النبي (ص) أن ذلك عرش إبليس : تقريراً للعرشين ، وبياناً للفرق بينهما عند أهل الفطر السليمة المستقيمة والإدراكات^(٣) ،

(١) يعني - والله أعلم - كيف يقولون بنفي السوى ، مع أنهم يقولون : إن له لساناً يتكلم به - سبحانه وتعالى - عن ذلك علواً كبيراً .

(٢) هو الدجال الذي ظهر في عهد رسول الله (ص) ، وأراد سيدنا عمر أن يقتله فقال له رسول الله (ص) : «أن يكنه فلن تسلط عليه ، وإن لا يكنه ، فلا خير لك في قتله» ، وأخباره واردة في الصحاح ، والحديث له شهرة تغني عن تخريجه .

(٣) كل من كانت فطرته أسلم : كان إدراكه أكثر .

فسبحان من فطر الإنسان على العالم وعليه^(١) ، وجعل العين المقصورة غده^(٢) ، فكانت الكائنات .

فمن ثبت قدمه في عبوديته ، بعد تحصيل هذه المعرفة من طريق الكشف ، فهو الخليفة : صاحب الأسماء والنعوت والصفات .

ومن زلت قدمه عن عبوديته في هذا المقام حلت به المثالات .

فالحمد لله : حمداً بعد حمد ، لما أسداه من جزيل المنح وجسيم الهبات العلويات [. . . وسلم كثيراً]^(٣) .

وبعد :

فإنك سألت أيها الولي العارف - عرفك الله تعالى مالا نهاية - [له] من المعارف : أن أقيد لك صورة الاستعداد الجامع الكلي ، الذي لا يتقيد باسم معين ، ولا بحضرة مخصوصة ، ولا بتجل مخصوص يوقف عنده ، ولا يتعدى لتلقي ما يناسب هذا الاستعداد الكلي ، من الأسماء المؤثرة وغير المؤثرة ، والحضرات المقيدة وغير المقيدة ، والتجليات العامة والخاصة ، والتنزلات الإلهية ، والاستنزالات الروحانية ، والإطلاع على الكائنات الغيبية ، في الحركات الدورية ، وتوالج العوالم ، ومشاهدة كل عالم في مقامه المعلوم ، وشخصيات تجلي هذه العلوم في مراتبهم ، وصور المعارج والمدارج ، والنسب الرابط بين العوالم ، والتأثيرات السفلية من الحركات العلوية والبرزخية ، والتأثيرات العلوية من الحركات السفلية ، وخلق الملائكة والروحانيات العلى ، من الأنفاس الآدمية ، والحركات البشرية ، وتولد الأرواح من الأجساد ،

(١) هكذا هي في المخطوطة ، والفطر : الشق ، والخلق ، ومنه فاطر السموات والأرض .
(٢) العين : بكسر العين ، ولعله (رحمه الله تعالى) يرمز إلى الحور المقصورات في الخيام : بدليل قوله « فكانت الكائنات » .
(٣) هكذا هي في المخطوطة .

والأجساد من الأرواح ، ومشاهدة العالم المهيم والمسخر ،
والمدير ، والتحول والتبدل في الصور على اختلافاتها ، والاستكشاف
على توسع الذات الإلهية ، لتنوع هذه الصور العرفانية الموقوفة على
الجحد والإقرار ، وتنوع المشارب ، ونسبة الحق من العالم ، والعالم
من الحق ، ومن أين تعلق العلم القديم الإلهي بالعالم ، والعالم
معدوم .

وإسترسال العالم الواحد على ما لا يتناهي من المعلوم من غير
تصور ، العلم التصويري ، والمعلومات المقصورة ، والمعلومات التي
لا تتصور ، والوقوف على مقام إحالة شهود العقل ، ومشاهدة المرتبة
التي تفني الإمكان .

والمحال عدم محض^(١) ، فلم يبق إلا الوجوب ، ومطالعة
السريان الإلهي ، الذي يفني حكم القدر ، وهو توحيد الوجود ، ونفي
الاختراع والخلق والتدبير ، وجحود الأسماء المؤثرة ، إلى أمثال هذا
الكشف التام ، والأمر الذي كان به النظام ، مما يرى ولا يقال .

وسألت في ذلك سؤال عارف بالمصادر والموارد والمواقف ، لما
علمت أنه ليس كل استعداد يعطي الأمر الكلي .

ورأيت أرباب هذه الطريقة قد أقاموا على استعدادات
مخصوصة : انتجت لهم أموراً معينة ، يُشار إليها ، ويقتصر عليها .

وأنفت همتك الشريفة عن الاقتصار على ما وقف عليه هؤلاء ،
وإن كانوا سادات وملوكاً ، ولكن أمير المؤمنين : واحد .

(١) لا يمكن وجوده ، لأن الله حكم بأنه محال وقضي فيه ، كما لو كان إنسان موجوداً فهو
قابل للاعدام ، إلا أنه وقت وجوده استحالة عدمه ، لأنه موجود ، فلا يكون المخلوق
موجوداً معدوماً في وقت واحد .

فاسمع يا أخي جواب ما سألت عنه وزيادة ، لينتفع بالزيادة غيرك
إذا وقف على هذا الكتاب ، ممن لا يقدر على استعمال ما سألت
عنه .

ولا تأخذ علي في ذلك ، فإن النبي (ص) سئل عن مسألة واحدة
فأجاب وزاد .

فقل له : يا رسول الله : أنتوضاً من ماء البحر ؟

فقال (ص) : «هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته»^(١) .

فزاد تحليل الميتة بيان وإيضاح .

سألت عن الخلوة المطلقة ، ولم تسأل عن الخلوات المقيدة ؟

وأنا أجيبك على ما سألت ، وأزيدك من الخلوات المقيدة : ما
تيسر ، فإنها كثيرة جداً ، ولا أجعل للخلوة حداً زمانياً معلوماً - كما
وقفت عليه لبعضهم - إلا الخلوة الصمدانية خاصة في هذا الكتاب ،
فإن حدها بالزمان لخاصية فيها^(٢) .

وما حد من حد الخلوات بالزمان إلا على حسب ما وجد ،
فأخباره عن وجد صحيح ، وهو مخطيء في طرد الحد الزمني ، فإن
الأمزجة تختلف ، وفراغ قلوب العباد من الكون ليس على مرتبة
واحدة ، وإنما هو على قدر الباعث والطبع المساعد .

فقد يفتح لواحد في يومين ما يفتح لآخر في شهرين ، ولا آخر في
سنتين ، ولا يفتح لآخر أبداً .

(١) رواه البخاري ومسلم ، وأبو داود والنسائي ، والإمام أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي
هريرة والإمام أحمد ، وابن حبان وابن ماجه والحاكم عن جابر ، ورواه ابن ماجه عن
الفراسي .

(٢) ذكر الشيخ (رحمه الله) أنها ثلاثون يوماً ، وسيأتي كلامه عنها .

وقد يؤهل واحد للإلقاء والتنزيل ، وآخر لكشف الحقائق ، وآخر ما يتعدى به الخيال ، والمثال ، وكل له مقام معلوم ، وحد مرسوم ، تقتضيه جبلته .

والحد الزماني في الخلق : لا يتصور .

وكذلك الجوع والأغذية : تابعة للمزاج ، فلا تتغير تخصيصاً .

ولكن يُقال «بأمر كلي» فهو أمر يعطي صاحب الخلوة ما يلائم طبعه ، ويؤمن بالقليل منه حتى يرد الفتح على الاعتدال ، ولا ينحرف المحل إلا لسلطان الوارد ، فإن الإنحراف بغير وارد سبب قاطع لحصول الخيال والأوهام ، وشهود ما ليست له حقيقة .

وكذلك لا أذكر ما يكشف له من الخلوات ، لوجهين :

الواحد لتعلق النفس بما سمعته ، واستعدادها لتحصيله ، فقد يسبق له التجلي الخيالي قبل الحقيقي ، فيقول : قد حصل المطلوب وما حصل على طائل ، فإن الخيال لا حقيقة له في نفسه ، لأنه ليس بعالم مستقل .

والوجه الآخر : إن النفوس غير متساوية في أصل الشيء ، فإنها بحسب تركيب البدن ، وقبوله للنفخ الإلهي ، من الروح الأقدس ، فقد تنقص نفس عن نفس ، وقد تزيد ، وقل أن تتساوى ، بل هو محال ، لكن تقرب .

وإن كنت فطناً لما ذكرنا فانظر اختلاف الأغراض في الناس ، واختلاف الشرائع باختلاف الأوقات باختلاف الأشخاص ، [اختلاف الأحوال] باختلاف الحركات العلوية ، باختلاف التنزلات ، باختلاف التجليات وفي الشريعة الواحدة من المشرع الواحد تجد ذلك ، فهو الذي منعني من ذكر نتائج الخلوات ، فإنني ما أصف سوى ما وجدت .

ما من نبي إلا واستعد ، وخلا مع ربه^(١) .
﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾^(٢) تقتضيه الحضرة
الإلهية ، فتقتضيه الفطرة التي خلق عليها .
فالواجب علينا : ذكر الداعي والاستعداد والتحصيل : لا ذكر ما
يحصل .

(١) ومن المشهور المعروف أن النبي (ص) كان يختلي قبل البعثة بغار حراء الليالي ذوات
العدد .

(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٤٨ .

باب فيما ينبغي أن يكون عليه صاحب الخلوة - إن شاء الله -

ينبغي أن يكون : شجاعاً ، مقداماً ، لا يكون جباناً خواراً .
فإن كان حاكماً على وهمه ، غير مقهور تحت سلطان تخيله ،
زاهداً في كل ما سوى مطلوبه ، عاشقاً لما توجه إليه ، على ما يقويه
من قوة الأمور القواطع ، التي بين يديه ، نافذ الهمة ، مصدق
الخاطر ، ثابتاً عند زعقة عظيمة ، أو وقع جدار ، ومفاجئة أمر مهول ،
غير طائش ، كثير السكون ، دائم الفكر ، غائباً عن أكثر الحالات ،
ساهياً عن لذة المدح ، وألم الذم ، صاحب قوت طيب^(١) .
[ومعنى قوت طيب : لا يجد في نفسه عند أكله أثر ريبة] من
باب الورع .

قال بعض أئمتنا : « ما رأيت أسهل من الورع : كلما حاك في
نفسه له شيء : تركته » .

وهو قول النبي (ص) :

«دع ما يريبك إلى ما يريبك»^(٢) .

(١) يعني حلال ، ولذلك فسر به بما بعده .

(٢) رواه الإمام أحمد عن سيدنا أنس ، والنسائي عن سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب =

قائماً بما يحتاج إليه من أسباب خلوته : لا يتكلف له أحد ذلك^(١) ، فحينئذ له أن يدخل الخلوة .

وإن لم يكن على شيء من هذا ، فلا سبيل له إلى الخلوة ، لكنه يستعمل العزلة ، ويدرب نفسه ، ويهذبها ويروضها بما ذكرنا ، إلى أن يعتاده ، فإن الخير عادة^(٢) .

فإذا حصل هذا الأمر : دخل الخلوة إن شاء الله تعالى - أي خلوة شاء - : عامة أو خاصة .

وليقدم صاحب الخلوة بين يديه صدقة : إن كان له شيء .

ولو لم يكن له سوى ثوبين : يتصدق بأحدهما ، أو ثوب واحد ، يمكن أن يباع بثوبين : يستبدل له بغيره^(٣) ، ويتصدق بما فضل .

= والطبراني عن وابصة بن معبد ، والخطيب عن عبد الله بن عمر ، والإمام أحمد والترمذي وابن حبان عن الحسن ، وابن قانع ، وأبو نعيم في الحلية والخطيب عن عبد الله بن عمر .

(١) يعني : لا يدخل الخلوة ، وهو متكل على أن الناس يطعموه ، فإن هذا مخالف للمشرع كما قال النبي (ص) لما سأل عن الرجل العابد «من يعوله» ؟ قالوا «كلنا» قال : «كلكم أعبد منه» .

(٢) يعني إذا فعلت الخير مرة ومرة ومرة ، ثم داومت عليه : أصبح طبعاً عندك لا تكلف فيه ، والخير الكبير : أن يصبح الخير عندك طبيعة .

(٣) كما لو كان عنده ثوب من الثياب الغالية الثمن مثلاً ، من الممكن أن يبيعه بثمنه ، ويشتري ثوبين : أحدهما له ، والآخر للصدقة ، وقد سئل رسول الله (ص) عن أفضل الصدقة فقال : «جهد المقل» رواه أبو داود والحاكم .

باب الخلوة المطلقة

أيها السائل : هياك الله سبحانه لاستعداد ما سألت عنه واستعماله .

لتعلم أنك لما سألت عن الاستعداد الكلي : لم يتمكن لي أن أخص به صاحب شرع التنزيل ، من صاحب شرع الكون .

بل نمشي الاستعداد على حسب ما تعطيه النشأة الإنسانية القابلة عند صفائها ، وتخليصها لما ذكرناه من هذا الأمر الكلي الذي يقع فيه التفصيل بالعوالم والأسماء ، وعلى حسب ما تقيد به أيضاً من الأمور الشرعية المنزلة عن الأمور والمشئة ، فأقول :

إن لم يكن صاحب شريعة أمر منزل ، وكان صاحب شريعة : مشيء أو مطلق ، فلا بد من أن يلتزم موافقة ما تواطأت عليه النفوس من مكارم الأخلاق ، وترك ذميمها وسفاسفها ، ويقيس ما يفعل هذا من فعله ، فقد دخل تحت هذا الأمر الشرعي^(١) المنزل ، فإنه «بعث لتتميم مكارم الأخلاق» .

(١) الأمر الشرعي هنا - والله أعلم - قول المصطفى (ص) : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فالداخل تحت هذا الأمر الشرعي ملتزم يجب عليه الوفاء بما التزم به .

والحكم عندنا للأحوال^(١) .

وحاله : ما ذكرناه .

فلا بد من الكشف : بلا ريب ولا شك ، لأن الأحوال تطلبه ،
لا العقائد والأقوال .

فتفطن فيما ذكرناه ، ولا تقتصر في وجود الحكمة [لدى]^(٢)
بعض الناس .

وإن كان فاعل هذه الخلوة قابلاً بالشرع ، معتقداً له ، قائلاً به ،
فليعلم أنه منقسم بين : أفعال ولا تفعل ، وإن شئت أفعّل ، وإن شئت
لا تفعل .

فأما قسم : لا تفعل : فامثله مطلقاً من غير توقف ولا حديث
نفس ، ولا تردد^(٣) .

وأما قسم : إن شئت ، وهو المباح ، فانظر إن كان فعله يؤدي
إلى أن يكون صاحب خلق عظيم شرعاً فافعله .
وإن كان يؤدي تركه إلى ذلك أيضاً فاتركه .

وأما قسم : أفعّل ، فامثله إمثال سائس بنفسه ، خائف من
شرورها^(٤) .

وذلك بأن تطمعها في نتائج ذلك الفعل ، بما يكون لها من

(١) يعني لكل حال يحكمه .

(٢) الكلمة مطموسة في المخطوطة .

(٣) لقول المصطفى (ص) : «إذا نهيتكم عن شيء فانتهوا» .

(٤) من قول المصطفى (ص) : «أن هذا الدين متين . فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا
أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» ، رواه البزار عن سيدنا جابر ، والإمام أحمد عن سيدنا
أنس بن مالك (رضي الله عنه وعن جميع الصحابة)

الشفوف والاختصاص بدرجة الكمال على جنسها^(١) .

ثم أعرف ما يستحق كل عالم من الحيوان الناطق ، والنبات ،
والجماد ، مما ينبغي أن يعامل به من الخلق الذي يوافق غرضه : إذا
كان ذا غرض ، مع حفظ الشرع ، وهو كل الحيوان ، أو ما يوافق
الحكمة في عالم الأغراض ، كالنبات والجماد ، وهو ترك العبث به .

فلا تقلع نباتاً ، ولا تفسد نظامه وترتيبه عبثاً لغير فائدة تعود منه
على حيوان تجلب بذلك منفعة له ، أو دفع مضرة عنه .

كذلك لا تسل حجراً عن موضعه عبثاً .
والجامع في هذا كله : أن ترسل شيئاً من حواسك عبثاً .
هذا شرط لا بد منه ، فمهما زال انحل النظام .

ثم معرفة الذنوب ؛ صغيرها ، وكبيرها ، خفيها وجليها ،
وإنسحاب التوبة عليها ، ورد المظالم المقدور على ردها ، من
عرض ، ومال ، لا من دم^(٢) .

وتطهير عالمك الباطني من كل مذموم : شرعاً ، وغرضاً ،

(١) يعني بذلك أن النفس كالفرس الجموح تحتاج إلى رياضة وتدريب ، حتى تعتاد مثل
هذه الأعمال .

(٢) روى الإمام أحمد ، والبيهقي والنسائي وابن ماجه قوله (ص) : «لو أن أهل السماء
والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله عز وجل في النار» ورواه الترمذي ، وقال
(ص) فيما رواه الطبراني والبيهقي : «من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين الجنة
ملء كف من دم امرئ مسلم : أن يهريقه ، كما يذبح دجاجة كلما تعرض لباب من
أبواب الجنة حال الله بينه وبينه ، ومن استطاع منكم ألا يجعل في بطنه إلا طيباً ، فإن
أول ما يتن من الإنسان بطنه» .

وقال (ص) فيما رواه النسائي والحاكم :

«كل ذنب عسى الله أن يغفره ، إلا الرجل يموت كافراً ، أو الرجل يقتل مؤمناً
متعمداً ، والأحاديث في هذا كثيرة ، والمقصود بالعرض : الشتم والسب وما إلى
ذلك فإن هذه مقدور على ردها بالاسترضاء ، والمال يرد ، وأما استحلال الفرج
الحرام فلا استطاع رده ، وإن تاب توبة نصوحاً فأمره إلى الله تعالى .

وطبعاً ، وتقيدده عن الجولان في عالم الكون^(١) ، وتفريغه عن الفكر ، فإن الفكر أضمر شيء في هذا الاستعداد ، وفي جميع الخلوات ، لا تصح به أبداً ، ولا يظهر لصاحبها ثمرة صحيحة إلا بحكم الاتفاق ، قاله الله .

احفظ نفسك منه^(٢) .

وكذلك حديث النفس ، وتصرفاتها في مراتب الكون ، لا تساعدنا على ذلك فإنه تمزيج وتخليط .

وليكن ذكرك الاسم الجامع الذي هو «الله ، الله»^(٣) ، وإن شئت «هو ، هو»^(٤) لا تتعدا هذا الأمر ، وتحفظ أن يفوه به لسانك^(٥) ، وليكن قلبك هو القائل ، ولتكن الأذن مصغية لذلك الذكر ، حتى ينبعث الناطق فيك بالذكر ، فلا تترك حالك التي كنت عليها ، فإنها قوة عرضية ، إن أخللت بجميعتك لم تلبث أن تزول سريعة .

وأما قدر ما تلبس من الثياب ، فهو : ما يكون به بدنك

(١) كن مع المكون بكسر الواو المشددة .

(٢) الضمير راجع إلى الفكر ، لأن الكلام عنه ، ولفظ الجلالة المكرم : المكرر مفعول لفعل محذوف ، تقديره : اتق الله ، اتق الله ، أو خف الله ، خف الله .

(٣) في كتاب «الأعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام» للغماري ص ١٠٧ ما نصه : قال الشيخ محي الدين : ومن أراد أن يفتح عليه بذكر هذا الاسم الشريف «الله» فليتخذ خلوة ، وليترك سائر الأذكار والأوراد غيره ، ولا يذكره من حيث أنه يدل على العين فقط ، بل لا بد أن يستحضر أنه يذكر من لا تحصر الأكوان ، ومن له الوجود المطلق التام ، وهذا الشهود هو المعبر عنه بالبساطة .

(٤) الذاكر بلفظ «هو» يضم في نفسه «الله» فيكون ذكره : «هو الله» وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم وجدنا فيه - على سبيل المثال لا الحصر - «هو الله الذي لا إله إلا هو» وعرفنا أن «هو» اسم إشارة ، واسم الإشارة في النحو معروف حكمه ، فالذين يعترضون على الذكر بـ «هو» اعترضهم في غير محله ، والله الأمر من قبل ومن بعد .

(٥) تحفظ بمعنى : احفظ : أي من أن تنطق به ، لأنه في هذه الحالة ذكر قلب : لا ذكر لسان .

معتدلاً ، وليكن من وجه لا يريبك ^(١) مثل الأكل سواء .
وليكن عندك حفاظ ^(٢) نقي يباشر عورتك ، تغسله في أكثر
الأوقات ^(٣) .

ولا سبيل إلى الاضطجاع ، ولا إلى النوم إلا عن غلبة .
ولتقدم أولاً قبل دخولك إلى الخلوة الأولى - أية خلوة كانت :
مطلقة أو مقيدة - رياضة وعزلة عن الخلق ، وصمتاً ^(٤) ، وتقليلاً من
الطعام وترك شرب الماء جملة : أجد فيه ، فإنه يسير المؤنة .
فإذا أنست النفس بالوحدة والعزلة : عند ذلك تدخل الخلوة .

-
- (١) بفتح الياء : أي ليس فيه ريبة ولا شبهة من حرام .
(٢) سراويل يحفظ فرجك ، وليس المطلوب هو ما يلبسه الناس الآن ، الذي لا يكاد
يواري شيئاً ، فإن هذا من لباس الفرنجة ، ونسأل الله العافية ، وقد قال رسول الله
(ص) :
«اتخذوا السراويلات ، فإنها من أستر ثيابكم وحصنوا بها نساءكم» رواه ابن عدي ،
والعقبلي .
(٣) كان النبي (ص) ينضح سراويله بعد الاستنجاء ، ويحض على هذا مخافة أن يصيب
السراويل من البول ما لم يكن الإنسان يعلمه .
(٤) أخذاً من قوله تعالى : ﴿قولي أني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم انسياً﴾ قال في
القاموس «والصوم : الصمت» .

مطلب في بيان كيفية الخلوة وما يختص بها

ومما يختص بهذه الخلوة وبعض الخلوات : ألا يقتل حيواناً أصلاً : قملة ولا غيرها^(١) .

وإذا خفت من الهوام في رأسك ، فاحلقه ، وليكن عند دخولك في الرياضة ، وقبل أن يتكون فيه حيوان .

ولتستعد^(٢) ثياباً تستبدلها في أكثر الأوقات ، قبل أن يتعلق بها حيوان ، فيشغلك .

وذلك : ما دمت تحس بنفسك .

فإن شغلت عن هذا كله ، فهو : المطلوب .

ولا تقعد ساعة دون طهارة .

والأساس كله على : التوجه لله تعالى بالتوحيد المطلق ، الذي

(١) أخذه من مناسك الحج ، فإن الحاج مقبل على الله ، فلا يشتغل بشيء مطلقاً ، وإن

خاف شيئاً من ذلك فليدخل نظيفاً تماماً حتى لا يشغله شيء ، عن الله : دق أو جل .

وإلا فليس هو في خلوة ، بل هو في «سهراية» تحت أشعة الشمس : للتفلي ، وقد

ذكر لك العلاج من ذلك (رحمه الله تعالى) في الجملة التي بعد هذه .

(٢) بمعنى : أعد .

لا يشوبه شرك ، خفي ولا جلي^(١) ، ونفي الأسباب والوسائط كلها جملة وتفصيلاً ، عقداً جزماً ، فإنك إن حرمت هذا التوحيد ، فلا بد من الشرك ، فقد تتأدى من الشريك^(٢) وهو كون^(٣) ، فلا يلوح لك أمر كلي أصلاً ، وينحل النظام .

وتحتفظ من الشرك والشك والتعطيل ، فإنه يناقض المطلوب .

ويكفيك ما سامحتك به من شرع الكون^(٤) ، وإن كنت عليه ، فهذا هو سبب دخولك في الشرع المنزل^(٥) ، فإنك إذا كشفت الحقائق : لا تقدر على جهل ما علمت ، وانكار ما شاهدت ، فلهذا سامحتك بشرع الكون ، لمعرفتي برجوعك إلى الحق ، ووقوفك عند الأذن الإلهي ، فاشتترط التوحيد ، وهو الباب الأول الإيماني ، فإنه قال : « قل لا إله إلا الله » لأهل الشرك والشك^(٦) .

(١) فيه الرد الكامل على ما يزعمه بعض الذين دأبوا على تكفير عباد الله دون حياة من الله تعالى .

(٢) في القاموس أدي فهو مؤد : قوي ولعله يقصد - أي يصيبك منه قوة فلا تصلح لما أنت فيه ، هذا ما عن لي ، والله تعالى أعلم ، وقال (رضي الله عنه) في بعض كتبه - عند الكلام على قول رسول الله (ص) - «إني لست كأحدكم ، إنما أبيت عند ربي فيطمعني ويسقيني» إذا كان محبوبي ليس كمثله شيء ، فأنا لست كأحدكم» المركوب يقطع به المسافات ، والدليل يستدل به على الجهات ، منزّه عن الحداثات ، لا يوصل إليه بالحركات ، ولا يستدل عليه بالإشارات ، فمن عرف المعاني عرف ما أعاني .

(٣) أي تكون هذه الأشياء التي ذكرها (رضي الله عنه) من الشريك .

(٤ ، ٥) شرع الكون : ما يلزمك من أكل وشرب ولبس وغير ذلك مما لا بد منه .

والشرع المنزل هو : ما شرعه لك الله تعالى ورسوله (ص) .

(٦) فإن المؤمن قد شهد أن لا إله إلا الله ، واستقرت في قلبه ، وأما المشرك فإنه يجاهد - بضم الباء وفتح الهاء - حتى يقولها ويشهد بها ، ويؤدي مستلزماتها من صلاة وصوم وحج وزكاة وغيرها .

وقول المصطفى (ص) «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله» دليل واضح على ذلك والله تعالى أعلم .

فإنه من لم يثبت غير الله تعالى : لم يقل له : أنه ، فابتداء
أساس استعدادك : على أول الأبواب الإيمانية .
فهذا معنى ما ترجمه البخاري (١) .

(١) قال البخاري في أول كتاب الإيمان : «وهو قول وفعل ، ويزيد وينقص» إلى آخر ما
قال (رحمه الله تعالى) .

**باب ما جاء : أن الأنبياء دينهم واحد في هذا
المقام
وفي بعض الأحكام ، فقد حصلت في الدائرة
والحمد لله**

والصمت : شرط لازم ، لا بد منه .

وأما الأكل فحده : ما دمت تدبر نفسك : ألا تجوع الجوع
المشغل^(١) .

ولا تشبع الشبع المثل^(٢) .

ولا تترك الطبيعة تتغذى^(٣) منك .

ولا تترك عندها فضلاً عن الوقت ، حتى يكون آخر خلاء المعدة
أول تحصيل الغداء ، وهو قول رسول الله (ص) :

«حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه»^(٤) .

(١) أي الذي يشغلك عن العبادة والذكر .

(٢) الذي يشغلك فينبئك ، فإنك ما دخلت الخلوة لتنام .

(٣) ذلك أنك إن لم تأكل أكلتك .

(٤) ونص الحديث : «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وإن كان لا بد فاعلاً ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه» رواه الترمذي وغيره .

ولكن من وجه لا يريبك^(١) ولا يتضرر فيه مخلوق بكلفة^(٢) .

ولا سبيل إلى أكل حيوان البتة^(٣) ، ولا أن تسخر لك في غداك
سواك^(٤) ، بل تستعد^(٥) غداك لخلوتك بيدك^(٦) ، ولا يتصرف في
تحصيله غيرك : البتة .

وإن جهلت مزاجك ، فاعرض نفسك على الأطباء ، فهم ينظرون
في الغذاء الذي يلائم طبعك ، ويصلح بمزاجك ، ولتقل لهم ما تريد
أن تفعله في التقليل وعدم الفضول من أجل التصرف والحركات والثقل
المؤدي إلى النوم والكسل ، فهم يركبون لك غذاء تبقى عليه الأيام
الكثيرة لا تحتاج فيها لغذاء ولا لبراز .

وإنما لم نعين في هذه الأوراق غذاء مخصوصاً لما ذكرناه من
اختلاف الأمزجة .

(١) أي وجه لا شبهة فيه ، وقد قال سيدنا عمر (رضي الله عنه) : «كنا نترك تسعة أعشار
الحلال مخافة أن نقع في الحرام» .

وربما يقول إنسان : ما لهذا وذاك ، فأنا نقول : ترك الشبهة عند الصحابة إلى هذا
الحد ، وترك الشبهة عندنا نحن : أن نتقي ما يؤدي إلى الحرام ، والبون بيننا وبينهم
(رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم) : شاسع ، والفرق كبير ، فهم خيرة الله لخير خلق
الله تعالى (ص) وصحبه وسلم .

(٢) فإنك إذا دخلت الخلوة ، وتصدق عليك الناس بالطعام : فهذا ضرر ، وربما كان في
نفس الذي أتاك بالطعام شيء ، فيكون تكلفاً ، ويكفيك قوله تعالى : ﴿قل ما أسألكم
عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ [سورة ص] ، والتكلف هو : اصطناع الإنسان
ما ليس من طبيعته .

(٣) لأن أكل اللحوم تؤدي إلى قوة شهوة الجماع .
والخلوة إذا جامع فيها المختلي فسدت ، فإن المعتكف لا يجمع النساء ولا يأكل إلا
الضرور الذي يقيم الأود .

[راجع باب الاعتكاف من كتب الفقه]

(٤) حتى لا تشغل بالغير ، فيشوش عليك ، والله يتولى هداك .

(٥) بمعنى : تعد طعامك بنفسك .

(٦) في المخطوطة - بعد «بيدك» : كلمة لا تقرأ .

والذين يقرؤون هذه الأوراق كثيرون^(١) فربما يستعمل ذلك الغذاء من لا يلائم طبعه ، فيعاقبه الله .

هذا ، وإن انحصرت الأمزجة في أمهات^(٢) ، ولكن فيها دقائق وتفضيل لا يعرف إلا بمشاهدة الشخص في الوقت ، ويحتاج الغذاء - بعد معرفة الشخص - إلى معرفة الزمان والمكان ، فهذا منعني أن أعين غذاء .

لكن الذي لنا تبين : الأمر الكلي ، وهو : أن لا تستعمل إلا الغدا الخفيف ، الملائم للطبع ، البطيء الهضم ، الشبع^(٣) : الذي لا تحتاج معه التصرف^(٤) .

(١) يقصد أنهم قد يقرؤون ، ولا يفهمون ما فيها ، فيستعملون الأدوية خطأ ، فيحدث الضرر ، ونسأل الله السلامة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ .

(٢) يعني : أصول .

(٣) بفتح الشين المشددة وكسر الباء : المشبع .

(٤) يكون مغذياً ، ومع ذلك : لا تحتاج معه إلى كثرة دخول الخلاء .

مطلب في بيان الأكل في الرياضة

وأما صورة الأكل في الرياضة^(١) في أول العزلة ، وفي الخلوة ، فهو : أن تأخذ اللقمة ، وتسمي الله سبحانه عليها بذلة وافتقار ، وخضوع وخشوع ، فإذا ألقيتها في فمك فأكثر مضغها جيداً ، فإذا ابتلعها ، فاحمد الله تعالى الذي سوغها حمداً تاماً في [حال : بحضور]^(٢) ومراقبة وتربص ، حتى تعلم أنها قد استقرت في فم المعدة .

ثم خذ بعد ذلك لقمة أخرى ، تفعل فيها مثل الأولى .

هكذا ، حتى تنتهي إلى القدر الذي فيه غداؤك .

وكذلك شربك الماء مصاً^(٣) وتقطع من نفسك مراواً^(٤) .

(١) ما تريض به نفسك قبل دخول الخلوة .

(٢) هكذا في المخطوطة ، ولعل المقصود : في حال ملازمة لك بحضور قلب مع الله تبارك وتعالى .

(٣) كما قال رسول الله (ص) : «مصوا الماء مصاً» . ولا تعبوه عباً» . [رواه البيهقي في شعب الإيمان] .

(٤) وفي قول رسول الله (ص) الذي رواه سمويه في «فوائده» . والبيهقي في شعب الإيمان ، «ابن القدح عن فيك ، ثم تنفس» إشارة إلى ذلك .

واعلم أن العطش من الشهوات الكاذبة : جربناه ، فوجدناه
كذا ، وجربه غيرنا فوجده كذلك .

فعود نفسك أن تمسكها عن الماء ، وإن عطشت ، فإنك إن
جاهدتها قليلاً : تنعمت بها كثيراً ، وتقيم - والله - الشهور الكثيرة ، نعم
والسنين : لا تشرب فيها ماء : البتة ، ولا تشتهييه ، ولا يؤثر في
مزاجك ولا بدنك ، وتقنع الطبيعة بما تسهل من الرطوبات التي في
الغذاء^(١) .

ولهذا نستحب ، بل نوجب المجاهدة والرياضة في العزلة قبل
الخلوة حتى يصير ذلك طبعاً وعادة ، ولا تحس النفس به ، كما لا
تحس بالعادات ، فتدخل الخلوة عقيب ذلك : مستريحاً ، نشيطاً ،
طيب النفس ، فارغاً من المجاهدة ، خالي المحل من المكابدة ، مهياً
مفرغاً لذكر المذكور ، والتجلي المطلوب ، والوارد الآتي عليك ، فإن
المجاهدة في الخلوة تذهب بجمعية الخلوة التي هي روحها^(٢) لأنها
شغل في الوقت ، فتحفظ من ذلك جهدك ، وقدم العزلة ولا بد ،
واجعل مجاهدتك فيها حتى تأنس بذلك ، واندرج منها إلى الخلوة
المطلوبة يسرع إليك الفتح إن شاء الله تعالى .

ومهما تكلفت شيئاً في خلوتك من : سهر ، أو جوع ، أو
عطش ، أو برد ، أو حديث نفس ، أو وحشة ، فأخرج منها إلى عزلتك
حتى تستحكم .

(١) يعني بامتصاص ما في الأغذية من الماء .

(٢) يعني أن روح الخلوة : مجاهدة الشهوات ، وتكبد المشاق والمتاعب

صورة بيت الخلوة وحاله فيها وشروطها

ثم ليكن بيت خلوتك على ما أذكره ، ولتكن أنت على حسب ما نحده لك .

فأما صفة البيت المخصوص بهذه الخلوة ، فينبغي أن يكون بكل خلوة إن أمكن ، فهو : أن يكون ارتفاعه قدر قامتك ، وطوله قدر سجودك ، وعرضه قدر جلستك .

ولا يكن فيه ثقب ولا كوة أصلاً .

ولا يدخل عليك ضوء رأساً .

ويكون بعيداً من أصوات الناس .

ويكون بابه قصيراً ، وثيقاً في غلقه .

وليكن في دار معمورة فيها ناس .

وإن تمكن أن يبيت أحد بقرب باب الخلوة ، فهو أحسن .

وأما صورتك فيها ابتداء ، فهو أن تغتسل وتنظف ثيابك ، ولا بد من النية بالتقرب إلى المتوجه إليه : « لا إله إلا هو العزيز الحكيم » .

ولا سبيل لكثرة الحركة فيها .

ولا تزد على الفرائض والركعتين والرواتب .

والقعود على طهارة .

واستقبال القبلة دائماً .

وإذا أردت الحاجة ، فليكن موضع خلائك بعيداً^(١) : قريباً من خلوتك^(٢) .

وتحفظ عند خروجك من الهواء الغريب ، فإنه يؤثر فيك تفريقاً^(٣) زماناً طويلاً .

وليكن ماؤك لا يتغير عليك ، وإذا خرجت لحاجة : سد عينيك وأذنيك .

وليكن غداؤك معك في بيتك معداً ، وخلف باب بيتك محفوظاً .

ومن شروط هذه الخلوة - بل كل خلوة - إن قدرت - أن لا يعرف أحد أنك في خلوة أصلاً^(٤) .

وإن كان لا بد أن يعرف ، فلا يعرف ذلك منك إلا أقرب الناس إليك^(٥) في خدمتك ، ممن يجهل ما أنت عليه ، ولا يعرف ما تقصده .

وإنما يمنع من ذلك لتشوق نفسه إلى النفوس المتشوقة لخروجه : بماذا يخرج ؟ وهي علة كبيرة ، ونحن نحب تقريب الفتح

(١) بمعنى : لا تبرز في خلوتك .

(٢) حتى لا تكثر الحركة والمشى .

(٣) لأن الإنسان إذا كان في مكان ، فهو مجتمع على نفسه : محاصر لها في الذكر فقط ، فإذا ما خرج ورأى الدنيا تفرق قلبه وتوزع تفكيره ، والله أعلم .

(٤) كزوجتك مثلاً أو خادمك .

(٥) حتى تكون السرية تامة بينك وبين ربك .

على الشخص ، وهذا يبعده ، فإنه لا سبيل إلى الفتح وفي النفس أثر .

فهذه صورة الخلوة المطلقة .

وجري فيها أشياء نبهنا عليها مما يحتاج إليها في الخلوات كلها : العامة والخاصة ، فلا تحتاج إلى تكراره في خلوة مقيدة .
والله المرشد .

وقد ذكرنا صورة ترتيب الفتح في رسالة « الأنوار » فليُنظر هناك إن شاء الله تعالى .

خلوة الهدد

تدخل الخلوة ، كما أرسم لك ، وتستعمل في غذائك قلوب
الهدد تسحقها وتسفها سفاً ، فإنك ترى عجائب .

ويكون ذكرك ﴿ لا إله إلا الله رب العرش العظيم ﴾^(١) .

(١) وهي الآية التي حكى الله أن الهدد قالها في سورة النمل ؛ الآية : ٢٦ .

الخلوة الصمدانية

أيامها ثلاثون يوماً ، لا نوم فيها : البتة .

ومهما نام في هذه الخلوة بليل أو [فطر]^(١) بنهار ، فليستأنف الخلوة من أولها : ينام فيها بالنهار ، ويفطر بالليل من غير شبع ، ولا يفطر بالنهار .

وإن اتفق أن يكون في رمضان فهو أولى ، وإلا ففي المحرم ، وذكرها : سورة الأخلاص^(٢) .

(١) في المخطوطة «فطر» .

(٢) وهي سورة «صمد» ومن معانيه : الذي لا يأكل ولا يشرب ، ولا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد ، ومن داوم عليها لزمه الشبع ، فلا يحتاج إلى كثير أكل ، ومن شاء فليجرب .

خلوة القرين

«ذكرها لي جماعة من إخواني ، وأما أنا فما عملت عليها ، من أجل الأسماء التي فيها»^(١) .

قال القوم الذين أخبروني بها : يلبس لها كل يوم ثوباً جديداً ، أربعين يوماً .

ويكفي الغداء : مرة خبزاً بزيت ، ومرة خبزاً بزيب .

ولا يزال يذكر هذه الأسماء عقيب الصلوات الخمس ، وأكثر الحالات : وهي :

«بهلطف ، سليطيع ، أسماطون ، أطون ، بهكش ، تهكش ، بوب» .

واعلم : أن صورة الخلوة ، ما ذكرته لك : ثم أنه تختلف الحالات فيها على الإنسان بحسب أذكاره ، فإن الذكر مع الاستعداد ، هو الداعي إلى الفتح ، ولكن بما يناسب الذكر الذي يكون عليه صاحب الخلوة .

(١) أعلمك بهذا أنها - والله أعلم - شيطانية لا رحمانية ، لأنه قال لك «من أجل الأسماء التي فيها» .

وقد ادخلت مريداً لنا بذكر سهل بن عبد الله ، الذي أعطاه
خاله ، وهو : «الله معي ، الله ناظر إلي ، الله شاهد عليّ» ففتح له به
في أربعة أيام .

وأما أنا ففتح لي به في ربع ليلة .

وأدخلت شخصاً بيته علي «سبحان الله العظيم وبحمده» فرفع من
ليلته .

ودخل بعض الشيوخ بذكر :

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ،
يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء
قدير» .

ولزمه مدة ، ففتح له في التوحيد والتوكل ، فكان واحد عصره
فيهما .

ووقفت على أسماء ، وأنا بالمسجد الأقصى ، فعرفتها :
[خوطبت بها] .

وهي في الخلوة عجيبة ، وهي هذه :

«عنت وجود الروحانيات العلى ، للسبحات العظمى ، التي فتق
بها الرتق . يا علي يا قيوم ، يا من أوجد الأبناء العلويات متحركة ،
والأمهات السفليات ساكنة ، بالصفة التي هي عين الموصوف .

يا من أدار القمرين حول مراكز تداورهما ، وأدار الدورة الكبرى
للسكون والفضل المبتغى ، المنطوق به على السنة الروحانيات العلى .

يا من نظر إلى من نظر إليه .

يا مذل الأعز ، يا قدوس يا أحد ، لك العز الأفخر ، والملك
الأكرم ، والملكوت الأفخم ، أثر جلالك : الهيبة في القلوب ، وأنت

المحسان ، تنقل الأطوار والأدوار ، وتعلم ما سكن في الليل والنهار .
يا عظيم : لا أعظم^(١) ، يا كبير ، لا أكبر^(٢) ، أنت المقصود
بكل همة ، والمسؤول بكل لسان .

وكذلك خلوة : «يا حي يا قيوم» عظيمة الفائدة .
وكذلك : «يا علي يا عظيم ، يا علیم يا حكيم» .
وما من ذكر إلا وله نتيجة تخصه .

فإذا فهمت كيفية حالات الخلوة وصورتها ، فادخلها بأي ذكر
شئت ، فإنه يعطيك ما في قوته^(٣) ولا بد .

ويكفي هذا القدر من التنبيه

- والحمد لله وحده ، - .

- وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم - .

* * *

تمت الخلوة المطلقة ، وهو حسبي ، وحفي .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١ ، ٢) في القاعدة النحوية : أن حذف ما يعلم جائز ، لأنه معلوم بالضرورة ، فقوله لا
أعظم و «لا أكبر» يعني : لا أعظم منك ، ولا أكبر منك ، وقد يكون يريد أن ينهاك
عن أن تذكر يا أعظم ويا أكبر ، وهذا هو المرجح ، والله أعلم .
(٣) أي ما في قوة الذكر ، والله تعالى أعلم .